

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[413] "الملاء" كما أشرنا إلى ذلك سابقاً تطلق على الأشراف الأثرياء اللامعين الذين يملأ طاهرهم العيون ويلاحظ حضورهم في كل مكان من المجتمع. وتأتي عادة في مثل هذه الآيات محل البحث بمعنى المناصرين والمشاورين والملتفين حول شخص ما. ونرى الكلام في هذه الآيات يدور حول بعثة موسى إلى فرعون وملئه فقط، في حين أن موسى مبعوث لكل الفراعنة وبني إسرائيل، وعلاوة ذلك أن مقدرات المجتمع في يد الهيئة الحاكمة، وبناءً على هذا فإن أي برنامج إصلاحي وثورى يجب أن يستهدف هؤلاء أولاً، كما تقول ذلك الآية (12) من سورة التوبة: (فقاتلوا أئمة الكفر). إلا أن فرعون وأتباعه امتنعوا عن قبول دعوة موسى، وعن التسليم في مقابل الحق: (فاستكبروا) ونظراً للتكبر والإستعلاء وعدم امتلاكهم لروح التواضع فإنهم لم يلتفتوا إلى الحقائق الواضحة في دعوة موسى، وأصرّوا واستمروا في إجرامهم: (وكانوا قومًا مجرمين). وتحدث الآية التالية عن مراحل مواجهة الفراعنة لموسى وأخيه هارون، وأول تلك المراحل هي مرحلة الإنكار والتكذيب والإفتراء واتهامهما بسوء النية، وإبطال سنن الأجداد، والإخلال بالنظام الإجتماعي، كما يقول القرآن: (فلمّا جاءهم الحق من عندنا قالوا إنّ هذا لسحر مبين). إنّ جاذبية دعوة موسى الخارقة من جهة، ومعجزاته الباهرة من جهة أخرى، وتزايد نفوذه بصورة محيرة من جهة ثالثة، دفعت الفراعنة إلى التفكير في حل لهذه المسألة، فلم يجدوا وسيلة أفضل من رميه بالسحر، فأعلنوا أنّهم ساحر وأنّ عمله سحر ليس إلا، وهذه التهمة سائدة في جميع مراحل الأنبياء وعلى طول تاريخهم، خاصّة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم). إلا أن موسى (عليه السلام) نهض للدفاع عن نفسه، فأزاح الستار وأوضح كذب هؤلاء